وبناء الدولة العصرية: قضية التعليم

بقلم اديب ديمتري

على رقعة الوطن العربي كله تبدو ثورة التعليم قضية ملحة .. ولا تكاد تهدأ المناقشات حولها حتى تثور من جديد .. وعلى خريطة هذا الوطن تبدو مفارقات ، ودرجات وطبقات بين العلم والامية .. ولكن الوطن كله.. يجمعه عطش ، هو بعض عطش صحارينا الى العلم والمعرفة .. حتى تتحول الى حقول مزهرة .. وترتفع في آفاقها قوة العمل المنتج .

وليس موضوعنا قضية التعليم في العالم العربي . ولكننا سنحاول ان نقدم بعض ملامح التعليم في مصر منذ ثورة يوليو ، نموذج وتجربة هامة تحمل دلالات تتخطى في حقيقتها حدودنا الاقليمية،وتعبرها الى الوطن الكبير.. وبل والى كل بلدان وشعوب العالم الثالث التي تخوض معركتها المريرة ضد الامبريالية .. وضد كابوس التخلف والفقر .

لسنا اذن بازاء نظام تعليمي بعينه يقوم في مصر ،بل تجربة من لحم ودم العالم الثالث كله .. وملامحها برغم السمات الخاصة ، هي ملامح الثورة وابعادها في هذا العالم المضطرب .ولقد كان التعليم دائما اداة ثورة وتغيير، كما كان ايضا اداة انتكاس وجمود ، ومن هنا فالصراعات حوله : حول اهدافه ونظرياته ونظمه وتطبيقاته هي بعض اوجه الصراع الاجتماعي المحتدم ، صراع الفلسفات والنظم . فالتعليم كأداة بشرية ، ليس من قبيل الالات ذاتية الحركة ، ولا يستمد قيمه وقيمته من ذاته ابدا ، ولا من نظامه كما يحلو للبعض ان يتوهم ،بل من اليد التي تصنعه وتحركه : يد الثورة او اليد المعادية لها ، وستظل اسباب النجاح والفشل ، التقدم او التخلف كامنة في طبيعة القوة المحركة من ورائه ، القوة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية ..

واذا كان الوطن العربي ، في كل ربوعه ، من الجزائر حتى بغداد ، قد خاض على الدوام معركته من اجل التعليم والثقافة القومية ، كجزء لا يتجزأ عن معركته ضد الامبريالية والاستعمار في مختلف صوره .. واذا كانت سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية على وجه الخصوص، قد شهدت جهودا صادقة من جانب القوميين والوطنيين ـ ولعل من ابرزهم ساطع الحصري ـ لتحقيق تقارب وتعاون اوثق بين شعوبنا في مجال التعليم .. فان معركتنا الراهنة ، وهي بطبيعتها معركة صمود وشعوب ونفس طويل ، تفرض على الثوريين شحذ كل اسلحة الثقافة والعلم والتعليم .. وهي اسلحة تعبئة وحشد للقوى وقتال بالدرجة الاولى .

ولا شك ان الناصرية ، كتيار عربي وطني وتقدمي ، قد جسدت أهداف ثورتها في تطبيقات وانجازات هامة في الميدان التعليمي .. حجم هذه الانجازات ليس بالهين كما سنراه بالارقام ، ومع ذلك فقد صاحب الاصلاح التعليمي منذ بداية الثورة ، وانعكس في ميدانه صراع تيارات ، اجتماعي وطبقي حاد :في المثل والاهداف ،وفي القيم المسيطرة ، وفي ابعاد الاصلاح ومداه ،وفي مواقع الطبقات المختلفة منه واستفادتها به ولا يزال هذا الصراع قويا نشطا في مصر يفصح عن نفسه في صورة الجدل الذي لا يهدأ حول مسائل التعليم ، والضجة والقلق الشديدين اللذين يسيطران على الاباء والابناء عادة في بداية كل عام دراسي وفي منتهاه ، ويشدان الاهتمام القومي حتى في احرج الاوقات .

والواقع ان قضية التعليم اكتسبت اهمية خاصة وطابعا مميزا بعد هزيمة يونيو بوجه خاص ، لالتحامها بالجدل حول اسباب الهزيمة ومقتضيات المواجهة الجديدة مع العدو ، وقد بدت هذه الهزيمة في بعض اوجهها ،

هزيمة للتخلف امام التفوق الساحق للعدو الامبريالي والصهيوني في العلم والتكنولوجيا ، كما بدا شرطا من شروط النصر عبور هوة التخلف وامتلاك وسائل العلم والتقدم .

وبصرف النظر عن قضية العلم والتكنولوجيا التي رأى فيها البعض العامل الحاسم سواء في الهزيمة او النصر على العدو – وهو رأي بعيد تماما عن الصواب ، يحجب الاسباب الحقيقية ، ومع ذلك فلا شك ان التعليم في عالم اليوم اضحى صناعة ثقيلة واستراتيجية ، يقع في صميم قضايا الثورة والتقدم ، ومن ثم كل هذا الصراع حوله في بلدان العالم الثالث . وهو صراع يدور بين مجموع الطبقات الوطنية من جانب ، والطبقات القديمة المخلوعة وجيوب الامبريالية ، كما يقع ايضا بين الاجنحة المختلفة في الثورات الوطنية التحريرية ، خاصة ضد الاجنحة اليمينية والطبقات الجديدة والبيروقراطية والتنكوقراطية والاغنياء الجدد التي اصبحت وباء في العالم الثالث .

وما نحتاج اليه هو حوار صادق بين مختلف قوى الثورة العربية الوطنية التقدمية ، على امتداد تيارات اليسار المعادي للامبريالية ، داخل كل بلد عربي ، وعلى صعيد الوطن العربي في التعليم (١) ، كما هو في الفكر والثقافة والسياسة من اجل لقاء اعمق ووحدة بين هذه القوى ، وهو ما نراه شرطا لازما للنصر .

الدولة العصرية

منذ ان اعلنت الثورة سنة ٥٢ مبادئها الستة ، وهي في الاساس معادية للاستعمار والاقطاع والرأسمالية العميلة ، كانت تعني في المضمون محاولة اقامة الدولة العصرية المتقدمة مكان الدولة التابعة والاقطاعية المتخلفة .

وقد كان مطلب التعليم ، وهو مطلب عريق لدى الجماهير الشعبية ، يجمع كل الطبقات الوطنية ابتداء من البورجوازية المصرية النامية حتى الفلاحين . كان حلم محمد علي واداته الاولى في خلق دولته الحديثة كما ارادها . وظل مطلبا اساسيا واداة في يد البورجوازية المصرية في كل مراحل ثورتها . كان كذلك عند الثوريين العرابيين في النصف الثاني من القرن الماضي ، ثم الحزب الوطني وفادته مصطفى كامل ومحمد فريد في مطلع القرن العشرين امتدادا الى ثورة ١٩ وما تلاها من سنين حتى صياغته الليبرالية الواضحة على يد طه حسين « التعليم كالماء والهواء » . وجماهير الطبقة العاملة لم تكن تقل نزوعا ولا الحافا في هذا المطلب ، حتى ان كرومر نفسه يعترف بعد جولاته في قرى مصر وربوعها ، انه ليس هناك مطلب اكثر ترددا على السنة الفلاحين المصريين من مطلب التعليم كافة طبقات الثورة المصرية المعادية للاستعمار يجمعها هذا المطلب ،

وكان حلم الدولة العصرية ، المتقدمة والنامية ، والقضاء على التخلف هو السمة البارزة في ثورة يوليو منذ بدايتها ، عبر عنه بوضوح كتاب « فلسفة الثورة » وهو تأملات في عناصر الضعف والهزيمة والتخلف ، وبحث عن اسباب القوة وطريق الافلات من هذا التخلف .

اما الميثاق فهو يقدم صورة اكثر تحديدا .. كما يبلور اهداف التعليم لبناء الدولة الحديثة بصورة اكثر وضوحا :

« ان اجيالا متعاقبة من شباب مصر لفنت ان بلادها لا تصلح للصناعة ولا تقدر عليها .

« ان اجيالا متعاقبة من شباب مصر قرأت تاريخها الوطني على غير حقيقته ، وصور لها الابطال في تاريخها تائهين وراء سحب من الشك والغموض ، بينما وضعت هالات التمجيد والاكبار من حول من خانوا كفاحها .

« ان اجيالا متعاقبة من شباب مصر انتظمت في سلك المدارس والجامعات والهدف من التعليم كله لا يزيد عن تخريج موظفين يعملون للانظمة القائمة ونحت قوانينها ولوائحها التي لا تأبه لمصالح الشعب دون اي وعي لضرورة تغييرها من جذورها وتمزيقها اصلا واساسا .

« ان التعليم لم يعد غايته تخريج موظفين للعمل في مكاتب الحكومة . ومن هنا فان مناهج التعليم في جميع الفروع ينبغي ان تعاد دراستها بوريا لكي يكون هدفها هو تمكين الانسان الفرد من القدرة على اعادة تشكيل الحياة .

« ان العلم هو السلاح الحقيقي للارادة الثورية ، ومن هنا الدور العظيم الذي لا بد للجامعات وامراكز العلم على مستوياتها المختلفة ان تقوم به .

« العلم هو السلاح الذي يحقق النصر الثوري .

« ان مسئولية الجامعات ومعاهد البحث العلمي في صنع المستقبل لا تقل عن مسئوليات السلطات الشعبية المختلفة .

« ومن هذا التصور فان الجامعات ليست ابراجا عاجية ، ولكنها طلائع متقدمة تستكشف للشعب طريق الحياة .

« ان قدرتنا على التمكين من فروع العلم المختلفة هي الطريق الوحيد امامنا لتعويض التخلف .

« ان الامم التي ارغمت على التخلف ، اذا ما استطاعت ان تبدأ الان معتمدة على العلم المتقدم ، تضمن لنفسها نقطة بداية تفوق النقطة التي بدأ منها الذين سبقوها الى المستقبل .

« ان المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الكبرى التي يتصدى شعبنا اليوم لمواجهتها لا بد لها من حلول علمية » .

هذه هي اهداف بناء الدولة العصرية كما بسطها الميثاق ، بقي ان نرى ماذا تم في التطبيق ؟!

الانجازات والابعاد الكمية

نعتذر للقارىء بداية عن كثرة الارقام ، ولكن لا حيلة لنا في الامر . فعلينا ان نتتبع الصورة الرقمية في شمولها ، وفي تفاصيلها ايضا . ونبدأ بجدول يبين تطور اعداد التلاميذ والطلاب في جميع مراحل التعليم خلال سني الثورة . وقد اخترنا السنوات ذات الدلالة . فحتى سنة ٦٠ سجلنا التطور سنويا تقريبا ، ثم ما بين ٦٠ – ٦١ و٦٥ – ٦٦ وهي سنوات الخطة الخمسية الاولى للتنمية ذات الاهمية الخاصة ، ثم التطور حتى نهاية سنة ٩٦٩ .

---

(١) راجع بعض هذه التيارات والافكار التربوية والتعليمية في :
– معالم الفكر التربوي في البلاد العربية في المئة سنة الاخيرة – الفكر العربي في مائة عام – بيروت
– مستقبل التربية في العالم العربي – جميل صليبا – بيروت

المراحل	٥١–٥٢	٥٣–٥٤	٥٤–٥٥	٥٦–٥٧	٥٧–٥٨	٥٨–٥٩	٦٠–٦١	٦٥–٦٦	٦٨–٦٩ (١)
الابتدائي	١٬٤٩١٬٤٥٧	١٬٣٩٢٬٧٤١	١٬٥٨٠٬٠٨٩	١٬٩٧٥٬٨٧٤	٢٬٠٨٦٬٧٠٤	٢٬٢٨٦٬٠٦٧	٢٬٦٦١٬٠١٦٩	٣٬٤١٧٬٧٠٣	٣٬٥٥٠٬١١٩
الاعدادي		٣٤٨٫٥٧٤	٣٤٦٫٣٣٦	٣١٨٫٢٤٣	٢٧٩٫٣٨٥	٢٤٩٫٠٤٢	٢٥٥٫٨٣٢	٥٧٤٫٤٢٠	٧٧٥٫٣٠٦
القانون العام	١٥٩٫٧٩٧	٩٥٫٢١٠	١٠٩٫٧١١	١١٣٫٧٢٩	١١٥٫٠٣١	١٢١٫٨٤٥	١٤٠٫٥٢٤	٢٠٨٫٩٩١	٢٧٦٫٠٧٥
القانون الفني	٢٢٫١٨٦	١٥٫٥٦٦	١٤٫٠٢٦	٢٤٫٨٥٢	٣٤٬٥٩٩	٤٣٫٧٧٥	٦٧٫١٨٦	١٠١٬٢٠٤	١٩٧٫٠٥٤
الجامعي	٣٥٫٠١٦	٥٠٫٤٩٥	٥٤٫٩٧٨	٦٣٫٤٥٤	٧٢٫٨٧٠	٧٦٫٦٣٨	٨٦٫٥٣٩	١٤٠٫١٤٣	١٤١٫١٦٠
									سنة ٦٧–٦٨
معاهد عليا	١٥٢٠	٤٨٧١	٦١٢٥	٦٤٤٥	٧٤٤٧	٩٧٨٥	١٥٫٥٢٠	٣٢٫٢٨٣	٢٩٫٩٧٣
									سنة ٦٧–٦٨

وحسب تقديرات الجهاز المركزي للاحصاء فان معدل الزيادة في مختلف المراحل التعليمية بين بداية الثورة ونهاية الخطة الخمسية الاولى كالاتي : (٢)

مرحلة التعليم	عدد التلاميذ في عام ٥٣–٥٤ (بالالف)	عدد التلاميذ في عام ٦٥–٦٦ (بالالف)	معدل الزيادة ٪ خلال الفترة
التعليم الابتدائي	١٣٩٣	٣٤١٨	١٤٥
التعليم الاعدادي العام	٢٤٩	٥٧٤	٦٤
التعليم الثانوي العام	٩٢	٢٠٩	١٢٧
التعليم الثانوي الفني	١٩	١٠١	٤٣٢
الكليات الجامعية	٥٤	١٢٤	١٣٠
الجملة	١٩٣٤	٤٥٠٢	١٣٢

ومعنى ذلك زيادة عدد التلاميذ في جميع المراحل بمعدل ١٣٢ ٪ في حوالي اثني عشر عاما .

ومما له دلالة هامة تطورنسبة الاستيعاب في التعليم الابتدائي الاجباري بالقياس الى من هم في سن الالزام . ونسجل التقديرات الرسمية التطورات التالية : (٣)

(الارقام بالالف)

السنوات	عدد الاطفال في سن الالزام	عدد المقيدين في المدارس	النسبة ٪	نسبة الاستيعاب للبنات
٥٣–٥٤	٣٢٥٣	١٥٠٢٫٤	٤٦٫٠	٣٤٫٧
٥٤–٥٥	٣٣٢٣	١٧٥٤٫٥	٥٢٫٧	٣٩٫٠
٥٥–٥٦	٣٣٩٣	٢٠١٥٫١	٥٩٫٣	٤٣٫٦
٥٦–٥٧	٣٥٤٠	٢١٢٥٫٠	٦٠٫٠	٤٤٫٨
٥٧–٥٨	٣٦١٤	٢١٩٩٫٧	٦٠٫٩	٤٥٫٨
٥٨–٥٩	٣٦٨٩	٢٢٨٦٫١	٦٢٫٠	٤٧٫٤
٥٩–٦٠	٣٧٥٤	٢٤٥٢٫٤	٦٥٫٣	٥٠٫١
٦٠–٦١	٤٣٠٠	٢٦١٫٠٢	٦٠٫٧	٤٦٫٧
٦٥–٦٦	٤٩٠٧	٣٤١٧٫٨	٦٩٫٧	٥٥٫٧

ولا شك ان من ابرز سمات التطور التعليمي ارتباط التعليم بخطة التنمية وببرامج اعداد القوى العاملة المدربة ، وهو ما يخرج بالتعليم عن حيز المفهوم الليبرالي، باعتباره مجرد ثقافة وتنوير من اجل الثقافة الى ان يصبح قوة انتاجية وجزءا لا يتجزأ عن بناء الدولة النامية المتقدمة في عصر الثورة العلمية والتكنولوجية . وبصرف النظر عن الايديولوجية والفكر الذي قام عليه صرح التخطيط في التعليم وفي اعداد القوى العاملة ، كما قام عليه خطة التنمية كلها ، وسنعود اليه بعد قليل ، فان مجرد الاخذ بمفاهيم التخطيط والبرمجة ومحاولات ربط التعليم بميادين الانتاج وحقوله ، كان يعني انتقالا من مفاهيم البورجوازية الليبرالية التقليدية في الثقافة والفكر والتعليم . وقد انعكس هذا واضحا في اتجاهات التوسع التعليمي والجهود التي بذلت من اجل توفير القوى العاملة الفنية والعلمية في مختلف المستويات ابتداء من العامل الماهر الى مستوى الفنيين والعلميين وكان هذا وجها بلا شك لاحتدام المعركة مع الاستعمار ، واتجاهات التحرر الاقتصادي والتمصير وبناء الاقتصاد الوطني المستقل خاصة بعد هزيمة عدوان ٥٦ .

ويكفي ان نتتبع اتجاهات التوسع الكمي في مختلف مستويات التعليم الفني الثانوي ومراكز التدريب المهني ، وفي اتجاهات توزيع الطلاب في المستوى الجامعي والعالي بين الكليات والمعاهد النظرية والعملية . فقد بلغت الزيادة في تلاميذ التعليم الفني بوجه خاص في ٦٥ – ٦٦ ستة امثال ما كان عليه العدد ٥٣ – ٥٤ كما ارتفعت نسبة التلاميذ في التعليم الفني الى مجموع التلاميذ من ٤٠٧ بالمئة عام ٥٣ – ٥٤ الى ١٦٠٣ بالمئة عام ٦٥ – ٦٦ (٤) . هذا الى جانب التخصصات والاقسام الفنية العديدة التي ادخلت في خطط هذه المدارس وبرامجها .

وكان التطور في الجامعات على الوجه التالي : (٥)

السنوات	عدد الطلاب في الكليات النظرية	في الكليات العملية
٥٣ – ٥٤	٣٦٬٣٦٧	١٧٬٧٢٢
٦٠ – ٦١	٥٨٬٢٧٥	٣٤٬٠١٧
٦٥ – ٦٦	٧١٬٦٢٩	٦٥٬٢٥١
٦٧ – ٦٨	٦٨٬٥٧٣	٧٠٬٠٤٥

الخريجين

السنوات	الكليات النظرية	الكليات العملية
٥٣ – ٥٤	٣١٢٩	١٨٢٠
٦٠ – ٦١	٦٧٨٧	٣٤٦٣
٦٥ – ٦٦	١٠٬٣٥٠	٧٦٢٣
٦٧ – ٦٨	١١٬٤٧٩	٩٢٦٠

(١) مرجعنا احصاءات وزارة التربية والتعليم والجهاز المركزي للتعبئة والاحصاء

(٢) زيادة السكان في ج.ع.م وتحدياتها للتنمية . الجهاز المركزي للاحصاء سنة ١٩٦٦ .

(٣) زيادة السكان في ج.ع.م وتحدياتها للتنمية – الجهاز المركزي للاحصاء ١٩٦٦ .

(٤) زيادة السكان في ج.ع.م – الجهاز المركزي للاحصاء ١٩٦٦

(٥) الكتاب السنوي للاحصاءات – الجهاز المركزي ١٠٦٧

وحتى تكتمل صورة الانجازات والتطورات الكمية في التعليم نختم بالميزانيات وتطور الانفاق على التعليم :

ويقدر الانتاج المحقق في الخدمات التعليمية في سنة الاساس ٥٩ ـ ٦٠ في الخطة الخمسية الاولى ٦٤٤٠ مليون جنيه ، ارتفع الى ١٥٠٤٦ مليون جنيه في السنة الخامسة من الخطة بزيادة حسب هذا التقدير نسبتها ٦٤٠٧ بالمئة (١) .

السنة	ميزانية وزارة التربية والتعليم	نسبة ميزانية الوزارة(٢) الى ميزانية الدولة
٥٢ ـ ٥٣	٢٥٠٢١٧٠٧٠٠	١٢٠٢٤ بالمئة
٥٧ ـ ٥٨	٣٨٠٥٥٠٠٠٠٠	١٤ بالمئة
٥٩ ـ ٦٠	٤١٠٤٢٣٠٠٠٠	١٣٠٣ بالمئة
٦٥ ـ ٦٦	١٠٦٠٤	

ونطور ميزانية الجامعات له دلالته الخاصة (٣)

السنة	ميزانية الجامعات	النسبة المئوية الى ميزانية الدولة
٥١ ـ ٥٢	٣٠٩٨٢٠٤٦٢	١٠٧٢ بالمئة
٥٧ ـ ٥٨	٧٠٨٠٨٠٥٠٠	٢٠٧٧ بالمئة
٥٩ ـ ٦٠	٨٠٧٦٩٠٠٠٠	٢٠٥٣ بالمئة
٦٣ ـ ٦٤	١٤٠٩٧٠٠٣٠٠	١٠٦٥ بالمئة

الخدمة التعليمية لمن ؟.. التوزيع الطبقي

فياس حجم التعليم ، وتطوره الكمي له اهميته الكبيرة في كل بلدان العالم الثالث التي تقاتل ضد تراث التخلف والجمود . والتطور الكمي في ذاته له دلالته الاجتماعية والطبقية والسياسية ، لان الاستعمار والطبقات الرجعية القديمة والرأسمالية العميلة ، كانت تقيم كل السدود في وجه انتشار الثقافة والتعليم في كافة مستوياته. والمكاسب المحدودة التي تحققت بعد الحرب العالمية الثانية في بعض البلدان التابعة انتزعت بشق الانفس وبضغوط وبصراع مرير من جانب الطبقات الشعبية والوطنية ، وكجزء من حركتها الوطنية التحريرية . اما التقدم الملموس الذي تحقق في البلدان الوطنية الفتية في العالم الثالث ، فقد تحقق على يد طبقات اخرى ثورية وتقدمية . ولكن مستقبل الثورة في هذه البلدان ، وتأمين مسيرتها وتقدمها في مواجهة الامبريالية والثورة المضادة ، رهن بمقرطة الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية والتعليمية فيها ، وحصول الجماهير الشعبية على نصيبها العادل المعبر عن دورها الحاسم في بناء الدولة العصرية ذات المضمون الثوري والتقدمي .

ومن هنا فلا يكفي ابدا ان نتابع حركة الكم في التعليم او في اي ميدان اخر ، كما تفعل اجهزة الاعلام عادة في هذه البلدان ، بل يتعين فحص المضمون الطبقي لهذه الخدمة واتجاهات توزيعها .. ذلك هو المعيار الحقيقي لتطور الحركة الثورية في اي بلد من البلدان. وحتى يصبح التعليم اداة تغيير وثورة حقيقية ، فلا بد ان يوضع في يد طبقات صاحبة المصلحة ، والقادرة على التصدي للجمود والتخلف ، وهو المضمون الحقيقي لديموقراطية التعليم ، ولتكافؤ الفرص ، ولكل الشعارات التي تسعى الطبقات الرجعية القديمة والجديدة الى تفريغها من كل مضمون طبقي .

والامر الطبيعي ان البيانات والاحصاءات ، وحتى البحوث الاكاديمية التي تتابع هذا التطور والتوزيع الطبقي واتجاه الخدمة التعليمية ، تكاد تكون معدومة ، بل ولا تخطر للساسة والدارسين والباحثين على بال . ومع ذلك فسنلجأ الى بعض المؤشرات التي تنبىء عن الاتجاه وتعطي بعض الدلالات .

ونبدأ بتوزيع الشهادات الدراسية والتأهيل الفني على السكان كما تدل عليه الاحصاءات الواردة بتعداد ١٩٦٠ وهو اخر ما لدينا في هذا الشأن ، على الاقل من ناحية المنشور والمذاع .

توزيع السكان حسب الحالة التعليمية والنوع في تعداد ١٩٦٠
(للافراد ١٠ سنوات فأكثر)

(بالالف) (٤)

الحالة التعليمية	ذكور	اناث	جملة
امي	٥٠٤٩	٧٥٣٩	١٢٥٨٨
يقرأ فقط	٨٩	٤٢	١٣١
يقرأ ويكتب	٢٨٣٩	١٠٨٤	٣٩٢٣
مؤهل أقل من المتوسط	٢٠٠	١٠٢	٣٠٢
مؤهل فوق المتوسط وأقل من الدرجة الجامعية الاولى	١٧	٧	٢٤
او ما يعادلها	١١٥	١٥	١٣٠
دبلوم ممتاز	٩	١	١٠
ماجستير	٢	اقل من ٥٠٠	٢
دكتوراه	٣	ـ	٣
غير معين	٦٢	٧٧	١٣٩
جملة	٨٩٨٥	٩٠٦٨	١٨٠٥٣

ولا شك ان الصورة اليوم ، وبعد مضي عشر سنوات على هذا الاحصاء تختلف كثيرا ، خاصة بعد تقرير المجانية سنة ٦٢ ، ووصول الخدمة التعليمية وفي اعلى المستويات الى الافاليم ، والى فئات فقيرة ، وأحيانا حتى الى ابناء بعض المعدمين في القرية والمدينة. ومع ذلك ، فهذا الاحصاء لا يفقد قيمته او دلالته ، حتى لو اخذ على انه الارضية والتركة التي ورثناها من الماضي ، ونقطة البداية في قياس حركة الحاضر .

ولا يصعب تحديد الدلالة الطبقية لهذا التوزيع في مستويات التعليم والتأهيل ، كما لا يصعب تحديد ابناء من هم الاميون ؟ او الذين يقفون عند حدود الالمام بالقراءة والكتابة ؟ او حملة المؤهلات الجامعية او ما فوقها ، ونصيب ابناء العمال والفلاحين والطبقات الشعبية من هذا كله .

والحقيقة ان دلالة هذه الاحصائية على مستوى الاعداد والتأهيل العلمي والفني للكثرة الغالبة من القوى العاملة المنتجة ، في الريف والمدينة ، قد يكون هو الامر الاخطر ، وأي مقارنة بين هذا الاعداد ومستواه ومثيله في الطبقات العاملة والمنتجة في البلدان المتقدمة ، يكشف عن مدى هوة التخلف ، وما تعنيه بالنسبة للانتاج ، ولقضية تطوير القوى الانتاجية ، وهي بعينها قضية الثورة في البلدان المتخلفة .

والان فان متابعة حركة التعليم والتأهيل في مستوياته المختلفة، بعد هذا التاريخ في الريف والمدينة ، والمقارنة بين المدن الكبرى والصغرى ، والمحافظات الغنية والفقيرة يكشف لنا في الحقيقة عن اتجاه الخدمة التعليمية ، ومدى وصولها الى الكتلة الكبيرة من الشعب المنتج من العمال والفلاحين والفئات الصغيرة ، ومدى ما تحقق لكتلة الشعب العامل من المعرفة والعلم في المستوى الذي يستحيل بدونه انجاز الثورة العلمية والتكنولوجية وعبور هوة التخلف .

---

١ ـ سنوات التحول الاشتراكي وتقييم الخطة الخمسية الاولى ـ علي صبري .

٢ ـ تاريخ ونظام التعليم في ج.ع.م تأليف د. رشدي لبيب وزملائه . زيادة السكان في ج.ع.م ـ الجهاز المركزي .

٣ ـ التعليم العالي في ١٢ سنة ج.ع.م ـ وزارة التعليم العالي

٤ ـ الاحصاء السنوي للجيب ١٠٦٢

احصاء مقارن لعدد التلاميذ بالابتدائي لكل الف من السكان (١) بالمحافظات المختلفة (اخترنا بعض المحافظات ذات الدلالة)

عدد الاطفال عام ١٩٦٢ ـ ٦٣

المحافظات	الملزمين من ٦ـ١٢ المقابل لكل الف من السكان	عدد التلاميذ لكل الف من السكان	نسبتهم من ٦٣ـ٦٤ عدد الملزمين
القاهرة	١٦٦	١٤٠٫٤	١٤٦
الاسكندرية	١٧٣	١٤٣٫٣	١٥٠
طنطا	١٧٢	١٢٠٫٢	١٢٥
كفر الشيخ	١٨٠	٧٦٫٣	٨٧
الزقازيق	١٦٩	٩٩٫٠	١٠٣
المنيا	١٤٩	٨٣٫٧	٨٩
اسيوط	١٥٩	٨٨٫٣	٩٣
سوهاج	١٦٠	٧٣٫٠	٧٩
قنا	١٥٥	٦٥٫٩	٦٩

فاذا تابعنا السلم التعليمي كانت هذه الفروق اكثر وضوحا : توزيع التلاميذ بمراحل التعليم وأنواعه بالمحافظات

عدد التلاميذ لكل الف من السكان ٦٣ ـ ٦٤ (٢)

	الاعدادي العام	الثانوي العام	الثانوي الفني
القاهرة	٢٧	١١	٥٫٥
الاسكندرية	٢١	١٠	٥٫١
دمنهور	١٠	٢	١٫٨
طنطا	١٤	٤	٣٫٥
كفر الشيخ	٩	٢	١٫٢
الزقازيق	١٤	٤	٢٫١
الجيزة	١٥	٧	٢٫٩
الفيوم	٨	٢	٢٫١
بني سويف	١٠	٣	٢٫٧
المنيا	٨	٢	١٫٩
اسيوط	١٠	٣	٢٫٢
سوهاج	٧	٢	١٫٦
قنا	٧	١	١٫٠
اسوان	٧	٣	٣٫٧
المتوسط العام	١٤	٥	٣٫٠

ودلالة هذه الارقام ليست مجرد فروق بين القرية والمدينة او بين المحافظات الحضرية والريفية كما تصور الاحصاءات التقليدية، بل هي دلالة طبقية في الاساس . فلا شك ان هيمنة القاهرة والاسكندرية وفوزهما بنصيب الاسد من الخدمة التعليمية ، خاصة اعلاها ، والفروق الشاسعة بين المحافظات الحضرية والريفية ، الغنية والفقيرة ، يكشف عن حقيقة الطبقات المنتفعة بالتعليم.. فالفائز بكل الفرص في المدينة هم ابناء البورجوازية في الاساس كبيرها وصغيرها . اما الطبقة العاملة وأبناؤها فتشق طريقها بشق الانفس، اما الكتلة الساحقة من الفلاحين فلا زالت كما هي الى حد كبير مهضومة الحق .

ويؤكد هذه الحقيقة تركيب الهرم التعليمي ، والقمة الضيقة جدا بالقياس الى القاعدة . ففي ظل الاوضاع السائدة في التعليم ، والتدهور الشديد في مستوى التعليم الابتدائي ، ووجود حواجز قوية بين مراحل التعليم ، تتمثل في الامتحانات العسيرة ، والتي يتعذر النجاح فيها والتفوق الا عن طريق الدروس الخصوصية الباهظة التكاليف ، فان اجتياز هذه الحواجز ومواصلة التعليم حتى مستوياته الرفيعة ، يكاد يكون متعذرا الا في القليل لغير ابناء القادرين من البورجوازية وابناء الطبقات الجديدة بالأخص .

وتزيد الصورة اكتمالا بالتعليم الخاص والدور الذي يقوم به في التعليم ، وهو لا يخرج عن كونه في بعض قطاعاته انتهاكا صارخا لمبدأ المجانية وتكافؤ الفرص ، وتأكيدا للتمايز الطبقي وتعميقا له وتكريسا.

والواقع ان التعليم الخاص بمصروفات في مصر يشمل ثلاثة انواع : نوع يقوم به الاتحاد الاشتراكي عن طريق فتح فصول مسائية ملحقة بالمدارس في مقابل اجر زهيد ، وهو نوع مفيد حقا ، يساهم في توسيع فرص التعليم ، ويستفيد منه في الاغلب ابناء الفئات المتوسطة الصغيرة والعمال في المدن ، وهو نموذج للخدمة الطيبة والمفيدة وان كانت تحتاج الى تحسين وتطوير ، وهي تتيح فرصا للطبقات الشعبية قد تقصر عنها امكانيات الدولة والوضع السائد في التعليم .

ونوع ثان من هذا التعليم ، هو ضرب من التجارة الرخيصة ، ضحاياه عادة من ابناء الفئات السابقة في الاغلب ، وهو نوع رديء ومنحط من التعليم ، عائده تافه ، وضرره كبير ، لانه يقوم على استغلال المعلمين والطلاب ، لا يتيح فرصا حقيقية للنجاح او التقدم في التعليم ، ولكن الفئات البورجوازية الصغيرة واحيانا العمال تضطر الى الالتجاء اليه بعد ان تضيق في وجه ابنائهم فرص التعليم.

اما النوع الثالث فهو اخطرها ، وهو قطاع طبقي صارخ على رأسه مدارس اللغات ، التي تصل المصروفات في بعضها الى حوالى ١٠٠ جنيه ، والمدارس القومية ، وكلاهما يتبع للأسف نقابة المعلمين!!. ومدارس اللغات هي في الحقيقة وريثة كليات فكتوريا والمدارس الاجنبية المميزة الملغاة التي كانت تعد ابناء الطبقات القديمة لأرفع المناصب ، وقد استولت عليها في الحقيقة الطبقات الجديدة المسيطرة وحولتها الى تعليم مميز مترف يؤدي نفس الغرض القديم ، ينيح لابنائها فرصا تقصر عنها مدارس الدولة عادة .

وتطور نسب الالتحاق بمدارس التعليم الخاص بمصروفات بالمرحلتين الاعدادية والثانوية خاصة في الستينات يكشف عن تمسك فئات البورجوازية كبيرها وصغيرها بالتعليم كوسيلة للامتياز الطبقي وذعرها من اي محاولات لتضيق فرص القبول خاصة بانواع التعليم النظري الراقي ورفضها محاولات توجيه التعليم وجهة عملية في التعليم الفني الذي لا زالت تنظر اليه نظرة احتقار . وارتفاع نسبة الالتحاق بمدارس اللغات والمعاهد القومية المميزة التابعة للنقابة ، وعلى وجه الخصوص في الستينات يتمشى مع ازدهار الطبقة الجديدة وفئات الفنيين والتكنوقراط التي تولت مراكز السلطة والتوجيه في القطاع العام وأرادت ان تضمن لابنائها افضل الفرص، وأجود تعليم .

نسبة المقيدين بالتعليم الخاص بمصروفات الى جملة المقيدين بالمرحلة

السنة الدراسية	النسبة المئوية للمقيدين بالتعليم الخاص بمصروفات	النسبة المئوية للمقيدين (٣) الاعدادي	الثانوي
٥٦ ـ ٥٧	٤٫٦ بالمئة		١٫٥ بالمئة
٥٧ ـ ٥٨	٧٫٢ بالمئة		٤٫٦ بالمئة
٥٨ ـ ٥٩	١٢٫٣ بالمئة		٦٫١ بالمئة
٥٩ ـ ٦٠	١٦٫١ بالمئة		٧٫٤ بالمئة
٦٠ ـ ٦١	٢١٫٠ بالمئة		١٠٫٢ بالمئة
٦١ ـ ٦٢	٢١٫٩ بالمئة		٩٫٨ بالمئة
٦٢ ـ ٦٣	٢٣٫٦ بالمئة		١٠٫٥ بالمئة
٦٣ ـ ٦٤	٢٥٫٢ بالمئة		١٢٫٩ بالمئة

١ ـ دراسات وبحوث احصائية ١٩٦٥ ج.ع.م وزارة التربية والتعليم
٢ ـ المرجع السابق
٣ ـ دراسات وبحوث احصائية ـ ج.ع.م وزارة التربية والتعليم ١٩٦٥

ان الصورة العامة لتوزيع الخدمة التعليمية واتجاهاتها ، في كل مستويات التعليم وأنواعه ، ليست الى تقريب الفوارق بين الطبقات ، ولا تقريب الفوارق بين القرية والمدينة ، ولا الى الارتفاع بثقافة الشعب العامل في الحقل والمصنع الى مستوى متطلبات الانتاج الحديث ، واطلاق طاقاته الخلاقة ، وهو شرط تحقيق الثورة في القوى الانتاجية . الاتجاه على العكس يخدم تكريس الفروق الطبقية ، وتأكيد التمايز الطبقي عن طريق التعليم لابناء البورجوازية وبالأخص فئاتها الجديدة من الفنيين والتكنوقراط والبيروقراطيين والاغنياء الجدد .

الصراع في التعليم

لقد كان التعليم دائما ابدا محلا لصراع لا بهدأ ، ويحتل حيزا ليس بالقليل في الصراع الوطني والاجتماعي والسياسي منذ فجر الثورة المصرية . لقد اراده كرومر سلاحا في يده لتوطيد السلطة البريطانية ، وحجب المعرفة عن الكتلة الساحقة من الفلاحين والعمال، وخلق فئة من الموظفين محدودي الأفق والتابعين ، اما البورجوازية المصرية الثورية فقد جعلت منه سلاحا في يدها ضد المستعمر، ولتأكيد قيادتها للحركة الشعبية الثورية ، وتطلعت اليه البورجوازية الصغيرة بالذات في ظل حكم الاستعمار والاقطاع والرأسمالية ، وسيلة ليس غيرها وسيلة للصعود في السلم الاجتماعي ، وللامتياز عن طريق الشهادات والاوراق ، حيث تعز وسيلة الارض والمال والثروة . ومن هنا التقى في الحقيقة هدفان متعارضان ، هدف الاستعمار في خلق فئة الموظفين المميزة والتابعة من حملة الشهادات ، وهي اوراق توسع الهوة بينهم وبين جماهير الشعب الواسعة ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى هدف فئات واسعة من البورجوازية التي لم تكن ترى وسيلة اخرى للامتياز وللحصول على العمل والجاه سوى هذه الاوراق والشهادات .. كل ذلك على حساب القيمة الحقيقية ، قيمة العمل المنتج . بهذا تعمقت في تراثنا وقويت قيمة الشهادات والمؤهلات باعتبارها وسيلة تصنيف الطبقات الى جانب الثروة .

وبرغم هذه القيمة المتخلفة فقد ظل التعليم مسرحا للصراع ، وسلاحا قويا في يد الوطنيين ضد سلطة الاستعمار والاقطاع .. كان هدف الوطنيين دائما توسيع الفرص حيث يضيق الاستعمار على التعليم ، ونشره واذاعته بكل السبل ، وتأكيد مكانة اللغة القومية والمناهج القومية ضد طغيان اللغة الانجليزية والمناهج الاستعمارية.. ولا زالت مقالات طه حسين على صفحات جريدة السياسة في العشرينيات ، وغيره كثيرين ، وكتابه «مستقبل الثقافة في مصر» صفحات مشرقة في تاريخ الكفاح التعليمي والفكري ضد المستعمر .

ولكن المعركة في العشرينيات والثلاثينيات كانت سافرة بين الاستعمار والوطنيين ، محورها نشر التعليم او تضيقه ؟ اللغة الانجليزية ام العربية ؟ الثقافة الوطنية ام الثقافة الاستعمارية ؟.. اما بعد الحرب العالمية الثانية ، واحتدام الصراع الطبقي ، وبروز دور الطبقة العاملة في الثورة المصرية ، وتعاظم دور الجماهير الشعبية، ومن الجانب الاخر اشتداد مقاومة الطبقات الرجعية العميلة، والاجنحة اليمينية المعادية للحركة الجماهيريه ، فقد استقطب تياران متمايزان في التعليم : احدهما تبنته البورجوازية الوطنية المصرية الثورية ، ومعها كل الطبقات الشعبية ، وجسده طه حسين في شعاره المعروف، ووضعه في التطبيق بمجانية التعليم الثانوي ، وفتح ابواب التعليم على مصاريعها .. وكان هدفا تلتقي عنده العديد من المصالح والطبقات.. فهو هدف البورجوازية الوطنية التي تريد الاستقلال والتحرر وبناء دولتها واقتصادها الوطني ، كما انه هدف تلك الفئات من البورجوازية الصغيرة التي لا زالت تسعى الى الشهادات بأي ثمن ، ولا ترى غيرها للحصول على الاعتبار الاجتماعي ، وكذلك هو هدف اصيل للطبقات العاملة المنتجة المتعطشة الى النور والمعرفة والتي تحس بوطأة الامية والجهل .. ومن هنا التفت حول هذا الشعار بالذات أوسع الجماهير .

اما التيار الاخر فقد صاغ نظريته مرب له تاريخه الثوري في التعليم ابان ثورة ١٩ وفي العشرينيات ، وله مساهماته الاصلاحية المتقدمة في تلك الفترة في ميدان الفن التربوي وتطبيقاته وطرقه ووسائله الحديثة ، ونعني به اسماعيل القباني . ولكن هذا المربي كان ينتمي الى تلك الفئة من المثقفين والموظفين المصريين ، التي انعزلت عن تيار الحركة السياسية الوطنية ، وانغلقت على فنها وممارساتها التربوية ، وتجاربها التي تخيلت ان فيها علاجا لكل ادواء التخلف . هذا التيار لعزلته وبعده عن المعترك السياسي وانحصاره داخل اطار فنه التربوي خطف ابصاره الوافد الجديد الامريكي بمبادئه التي تقدم بها الى الشعوب بعد الحرب الثانية ، وقبل كل شيء بنظرياته وتطبيقاته التربوية المتقدمة ، وسطوة فلسفة جون ديوي بالذات البراجماتية في الميدان التربوي . ارتبط فكره وفنه بقوة بهذا الوافد الجديد ، وتبنى بالكامل النظريات البراجماتية في الفلسفة والتربية ، بعيدا عن الاهتمام او الوعي الواضح بالاهداف القومية ، ومتطلبات الثورة الوطنية . ومن هنا كون هذا التيار نواة الفنيين والتكنوقراط التربويين المنعزلين ، وسقط هو ومدرسته فريسة سهلة في يد الطبقات الرجعية العميلة وأحزاب السراي التي لم يكن في مقدورها في الاربعينيات والخمسينيات ابان تصاعد المد الوطني ان تعبر عن آرائها التعليمية بصراحة . ولذلك وجدت في فلسفة القباني واتجاهاته مطية سهلة . كانت شعاراته : الكيف قبل الكم ، والطرق والوسائل التربوية والتجارب الجديدة بدل السياسة .. واصبح هذا التيار اليميني هو القطب المقابل لطه حسين الوطني والتقدمي والشعبي ، وتلخصت المعركة بينهما في : الكم ام الكيف في التعليم .. وكانت في حقيقتها تعني : هل التعليم للشعب، ام للصفوة الممتازة .. هل هو اداة ديموقراطية ، ام اداة تكريس للامتيازات الطبقية ؟

كان هذا وجه المعركة في التعليم عندما قامت ثورة يوليو . وقد تولى اسماعيل القباني وزارة التربية والتعليم في سبتمبر سنة ١٩٥٢، بعد الثورة بشهور ، وظل بها حتى يناير سنة ١٩٥٤ ، ولعل توليه كان لاكثر من سبب : فبرغم اهداف الثورة الوطنية والمعادية للاستعمار والاقطاع منذ البداية ، الا انها لم تكن تملك ايدبولوجية وفكرا واضح المعالم ، ولا نظرة اجتماعية مستقطبة ، بل كان يسود بعض قادتها اتجاهات فكرية يمينية قوية خاصة في ميدان الفكر والتطبيق الاجتماعي ، وفي النظر الى حركة الجماهير الشعبية ، مما يلتقي واتجاهات القباني ، ولعل من ابرز المعبرين عن هذا الفكر اليميني والمحافظ كمال الدين حسين الذي تولى هذه الوزارة فيما بعد ، وخلف تراثا رجعيا عميقا داخل الوزارة يحتاج اقتلاعه الى جهد كبير . ولعل الصعوبات الاقتصادية والمشاكل في بداية الثورة ، كانت مما لا يتحمل اتجاهات طه حسين وسياسته الشعبية الليبرالية في التعليم ، وكانت افكار القباني واتجاهاته للحد من التوسع في التعليم اقرب منالا .

لم يكد اسماعيل القباني يتولى الوزارة حتى شرع فورا في محاولة ازالة كل آثار سياسة طه حسين ، وفي وضع القوانين واللوائح والنظم التي جسدت كل فلسفته : (١)

في قانون سنة ١٩٥٣ وحد القباني المدرسة الابتدائية الالزامية لجميع الاطفال ، وهو شرط ضروري من شروط ديموقراطية التعليم ،

---

١ ـ راجع مقالنا عن التعليم والثورة ـ مجلة الكاتب العدد ٦٨ نوفمبر سنة ١٩٦٦

ولكنه وحدها في الحقيقة على الورق ، وبدلا من ان يكمل الخطوات التي كان قد اتخذها طه حسين في اتجاه توحيد المدرستين الابتدائية والالزامية ، انتكس بها ، ووضع قانونا ظاهره التوحيد وحقيقتـــه الازدواجية في النظام التعليمي : فقد قسم مراحل التعليم الى ثلاث، ابتدائية واعدادية وثانوية ، ووحد المدرسة للجميع حتى السنـــة الرابعة الابتدائية ، وبعد الرابعة ابتدع نظام امتحان القبول العسير للمرحلة الاعدادية ، وبذلك اصبح ابناء الامة في سن الالزام من ٦-١٢ يتوزعون بين مدرستين : الابتدائية وهي في حقيقتها المدرسة الالزامية القديمة وتنتهي الى لا شيء ، حتى ولا ورقة ، والاخرى الاعداديـــة وهي في حقيقتها المدرسة الابتدائية القديمة الممتازة بلقة . الاولى تضم الاغلبية الساحقة من الابناء تعدهم بلفة القباني للحياة العملية في الحقول والمصانع ، ولكنها طريق مسدود تماما لا يسمح بمواصلة الدراسة في اي مرحلة ارقى ، والاخرى للقلة الممتازة بلغته ايضا ، وهي الطريق الواسع الى انواع التعاليم الراقية . وحقيقة الامر ان الاولى لابناء العمال والفلاحين الذين حكم عليهم بالعمل مدى الحياة دون ادنى حق في مواصلة الدراسة والاخرى لابناء الطبقات الممتازة، للصفوة . ولتبرير سياستها راحت هذه المدرسة الرجعيةتثير الضجيج حول الكيف المتدهور في التعليم نتيجة سياسة الباب المفتوح ، ونادت بحق التعليم ومواصلته للقلة من الاذكياء ، وقدمت اختبارات الذكاء وروجت لها ، ولم يكن هذا يعني في التطبيق سوى حرمان ابنـــاء الشعب العامل ، من فرص التعليم الراقي ، والوقوف بكتلة العاملين عند اولى درجات السلم الفكري والثقافي والاجتماعي ايضا .

هذا الفكر وضع في التطبيق وادت القوانين الجديدة الـــى تقلص واضح ، وتضييق في كل مراحل التعليم وانواعه ، وبالاخص مستوياته ومراحله الرفيعة ، والتي تبدأ بالمرحلة الاعدادية . وقـد اصبحت هذه المرحلة بالذات ، والمفروض ان تكون تتمة لمرحلة الالزام وامتدادا لها ، اصبحت هي وامتحانات القبول العسيرة على ابوابها بمثابة صمام الامان ، و«المحبس» الذي يوقف تدفق الجماهير الغفيرة صوب انواع التعليم الراقية . وعلى سبيل المثال فقد اصبـــح بالمدارس الاعدادية الجديدة (٥٣/٥٤) ٣٤٨،٥٧٤ تلميذا بينما كانت قاعدة التعليم في الابتدائي في نفس العام تضم ١،٣٩٢،٧٤١ تلميذا، وفي ٥٤-٥٥ هبط العدد بالاعدادي الـى ٣٤٦،٣٧٦ تلميـذا بالمقارنـة بالقاعدة في الابتدائي وهي ١،٥٨٠،٠٨٩ تلميذا وفي ٥٥/٥٦ اصبـــح بالاعدادي ٣٢٨،٤٧٠ بينما كان بالابتدائي ١،٨٦٠،٩٤٢ تلميذا وهو ما يكشف عن نوعية هذه المصفاة الطبقية التي اقيمت على ابواب التعليم، كما يكشف عن مدى ضيق القمة التعليمية التي ترتبت على تطبيق هذا النظام ، هذه القمة التي تعد الفنيين والعلميين والمتخصصينوالمثقفين من كل نوع ، هذا في بلد متخلف ، يشكو من امية غالبة ، ولا يملك اكثر من صناعة ناشئة ، واقتصاد تابع لا يزال يكافح من اجلالخلاص من السيطرة الاستعمارية . كان يعني هذا في التطبيق الاخذ بمبـدأ كرومر في فتح الكتاتيب بدل الجامعات !!

ولكن احداث سنة ٥٦ الكبرى ، والمعركة المجيدة التي خاضها الشعب ، وبالتحديد جماهيره العاملة ، جاءت لتكتسح مثل هـــذه السياسات . كان من المستحيل ان تصمد هذه السياسة الرجعية في الوقت الذي تسترد فيه البلاد سيطرتها على امورها ، وتمصر المصالح الاجنبية ، وترسي اساس اقتصاد وطني مستقل ومتقـــدم ونام ، وتخطط للتوسع في استغلال الثروات القومية .

ففي اعقاب النصر سنة ٥٦ قضي على جوانب هامة من القوانين القبانية : توحدت المدرسة الابتدائية لجميع الاطفـال من سن ٦ - ١٢ وقضي على مظاهر الازدواجية والثنائية في التعليم بالصورة الصارخة. وبدأت الحياة تدب من جديد في النظام التعليمي المجمد ، وتتكسر العديد من القيود والسدود : تفتح التعليم الثانوي من جديد لاعداد اكبر ، وتفتحت الجامعات ، وانشئت جامعة اسيوط ، وبدأ العمل في كلياتها العملية في اكتوبر سنة ١٩٥٧ .

ومع بدء خطط التنمية ومشروع السنوات الخمس الاول ، وصدور قوانين التأميم ١٩٦١ ، والاندفاع في طريق بناء الاقتصاد الوطنـي والصناعة الوطنية المتقدمة ، حدثت طفرة جديدة وكبيرة في التعليم، وكان الانعكاس المباشر لها في حقل التعليم المجانية الشاملة التـــي اعلنت في عيد الثورة العاشر . واقترنت هذه الفترة ايضا بدفعـــة كبيرة في اتجاه تعميم الالزام ، فتقررت الدراسة على فترتين فـــي الابتدائي للتغلب على مشاكل العجز في الابنية وهيئات التدريس . كما قفزت ارقام ميزانية التعليم وعدد الطلاب في جميع المراحل . ومراجعة الارقام في صدد هذا المقال وتطورها في هذه السنوات ، يكشف عن الارتباط الوثيق بين الانجازات الهامة في التعليم وانتهاج سياسة وطنية وتقدمية ، وبناء صناعة وطنية ، والمضي في خطـــط التنمية ، وبناء الاقتصاد الوطني .

ولكن اسماعيل القباني لم يخلف نظاما تعليميا بعينه ، اكتسحه انتصار ٥٦ ، بل خلف مدرسة كاملة من المفكرين الفنيين والتكنوقراط التربويين والخبراء التي سيطر على كل اجهـــزة التعليم . هـــذه المدرسة التي سقطت في الماضي في قبضة السراي والرجعية ، اصبحت فيما بعد مطية للاجنحة اليمينية في الثورة التي لا تثق بحركـــة الجماهير الشعبية ، وتؤمن بافكار الصفوة ، وكان المعبر الصادق عنها داخل وزارة التربية والتعليم الوزير كمال الدين حسين التي استظلت بظله هذه السياسة الرجعية سنوات طويلة . هذه السياسة تخدم في الاساس الطبقات الجديدة من الفنيين والتكنوقـــراط والبيروقراطيين والاغنياء الجدد ، الذين يخشون حركة الجماهير ، ويريدون التعليم اداة لتكريس امتيازاتهم الطبقية . هذا التيـــار استمر هو المسيطر والمهيمن على رسم سياسة التعليم ، ولذلك طلع علينا سنة ١٩٦٦ تقرير خطير عن سياسة التعليم ، صدر عن اللجنة الوزارية للقوى العاملة . والمفروض ان يرسي التقرير مبادىء اعداد القوى العاملة والتخطيط لها ، القوى الفنية المدربة والضرورية لبناء دولة عصريةذات مضمون تقدمي في عصر الثورة العلميةو التكنولوجية، ولكنه في الواقع لم يخرج عن كونه تجسيدا جددا و«تنفيرا» للفلسفة اليمينية والرجعية التي صاغها في الاصل القباني ومدرسته .

والتقرير يقوم على اساس الحد من تدفق الكتلة الكبيرة مـن العاملين في اتجاه انواع التعليم الراقية ، ويحدد نسبا للقبـــول بمختلف المراحل طابعها التوقف والكف ، ويفهم التخطيط في القوى العاملة ، لا باعتباره اعادة توجيه للقوى بما يتفق واحتياجات اقتصاد نام ومتطور ، بل على انه اقامة قيود وسدود في وجه التوسع فـــي التعليـــم .

والتقرير يستند الى المزاعم القديمة ، والتي ظلت تتردد منـذ قبل الثورة عن فيوض الخريجين عندنا في المستويات العليا ، ويسجل جداول وهمية تثبت زيادة الفنيين في كثيـــر من التخصصات ، وحتى في العلميين وخريجي كليات العلوم !! هذا في بلد متخلف ، يشكو اول ما يشكو من ندرة العلم والعقلية العلمية . وقد اثبتت الاحصاءات والاحتياجات العملية فيما بعد فساد الحسابات التي يستند اليها .

واكثر من هذا اهمية انه لا يرى في التخطيط سوى اعداد جداول وارقام من البشر لسوق العمل على اساس قيمة واحدة هي العرض والطلب ، ولا يرى على الاطلاق دور الثقافة والتعليم ، وضرورة نشره على اوسع نطاق لاعداد القاعدة البشرية العريضة على مستوىحضاري وفكري يلبي احتياجات الثمرة العلميـــة والتكنولوجية .

هذا الفكر لا يزال عميقا قوي الجذور ، تدعمه الفئات والطبقات الجديدة ، وكبار الفنيين والساسة الرجعيين .

في المحتوى والمضمون

الناصرية كثورة وطنية تقدمية ، تعادي الاستعمار وتؤمن بالتغيير الاجتماعي وتهدف الى بناء الدولة الوطنية العصرية .. انعكست بوضوح في مناهج التعليم .. ولا شك ان الكثير من التغييرات التي طرأت على المناهج في سنة ١٩٥٧ عقب هزيمة العدوان ، وفي ٦٢/٦١ ثم المناهج المطورة ٦٨/٦٧ كلها تعكس المفاهيم الوطنية المعادية للامبريالية وسياسة التحرر والسلام والتطلع الى التغيير الاجتماعي والعدالة الاجتماعية ، والعداء للطبقات القديمة الاقطاعية والرأسمالية العميلة ، كما تعكس الطموح العلمي ومحاولات ادخال الفكر العلمي والنظرة العلمية في المدارس .

ولا شك ايضا ان تطوير الازهر وانشاء الكليات العلمية بالجامعة الازهرية خطوة هامة في هذا الاتجاه .

ولكن مفهوم الدولة العصرية ، ومستقبل الحركة الثورية ، كان ولا يزال محل صراع حاد وضار ، هو صورة من الصراع الذي لا يهدأ في كل بلدان العالم الثالث في الحقيقة ، وبالاخص في الدول الوطنية الثورية ، صراع بين تيارين في الحركة الوطنية : تيار تقدمي يعبر عن المصالح الحقيقية للشعب العامل والمثقفين الثوريين وقطاعات واسعة من البورجوازية الصغيرة الثورية ، وهو يرى بوضوح ان طريق الرأسمالية والنمو الرأسمالي في الدول النامية طريق مسدود تماما، كما يرى حتمية التحول في الطريق الاشتراكي اذا ارادت هذه الدول ان تسير بخطاها الى الامام وأن تحقق حلمها في الدولة العصرية المتقدمة .. ومن هنا فمفهوم هذا التيار عن الدولة العصرية وعن التقدم هو مفهوم اشتراكي في الاساس ، ومضمون الدولة التي تتطلع اليها والتقدم هو مضمون ثوري اشتراكي .

اما التيار الثاني فهو المعبر عن القوى والاجنحة اليمينيةالرجعية والمصالح الرأسمالية النامية والطبقات الجديدة بوجه خاص ، والتى تعادي حركة الجماهير الشعبية ، والديموقراطية ، وتغلف هذا العداء وتستره تحت مظاهر العداء للشيوعية ، وهي فيالحقيقة تعادي الاشتراكية العلمية ، وتعادي التقدم الاجتماعي ، وتسعى الى عرقلة الحركة الثورية والوقوف بها عند حدود مصالحها الطبقية الضيقة ، فتنزع الى الجمود والمحافظة ، وتتطلع على الدوام الى النموذج الغربي الرأسمالي والامريكي على وجه الخصوص في بناء دولتها العصرية ، ولا تتصور هذه الدولة الا في الاطار الرأسمالي . ولذلك فهذا التيار مهادن ، يتحلب ريقه الى المصالحة والاتفاق مع الاستعمار الجديد . سمة هذا التيار الاساسية التهادن والعداء الشديد للحركة الجماهيرية ، ومن ثم يعادي النظرة الاجتماعية العلمية ، التى تعمق وعي الجماهير الشعبية بحركتها التاريخية .

هذا الصراع المحتدم بين التيارين في كل سني الثورة ، اعطانا ايضا تيارات وسطا ، ومحاولات للتوفيق وتهدئة الصراع ، وسياسات سمتها التذبذب والغموض وفقدان الاتجاه .

هذا الصراع الاجتماعي كله ينعكس في الحقيقة وبعمق في محتوى التعليم ومضمونه ، في المناهج والخطط الدراسية : ولكن السيطرة الحقيقية داخل اجهزة التعليم كانت على الدوام للاجنحة اليمينية ، وفكرها دائما اكثر سيطرة على الفنيين والتكنوقراط التربويين ، وذلك بتأثير النفوذ العميق لفكر القباني ومدرسته المعبر عن التيار الاميركي في التربية ، وبالتأثير الاشد للتراث الرجعى والمحافظ والذي ظل مسيطرا على هذه الوزارة في اكثر تاريخها وقد ارسى دعائمه بعناية ووعي كرومر ودنلوب والمدرسة الانجليزية والاحزاب الرجعية القديمة .

اما مناهج المدرسة المصرية فهي انعكاس ومرآة لهذا الصراع كله ، وهي تتمزق تحت وطأته ، ويفقد واضعو المناهج والكتب الدراسية ، وهم في حملتهم وطنيون مخلصون ، ومهنيون امناء على مهنتهم ، الاتجاه . ونتيجة العزلة الشديدة المضروبة على حركة المعلمين ، وارهاب العداء للشيوعية ، ووطأة النقابة الرجعية التي حرص على تكوينها برسم وتخطيط الوزير الرجعي كمال الدين حسين، وحشدها بكل صنوف التخلف والجمود الفكري ، بل وببعض العناصر التي خدمت احزاب السراي ، لهذه الاسباب كلها فالفكر اليميني خاصة في الحقل الاجتماعي ، وفي النظرة الاجتماعية هو الغالب على واضعي ومخططي المناهج وكذلك على مؤلفي الكتب .

فالمناهج ينعكس فيها بلا شك الفكر الوطني المعادي للامبريالية، وسياسات التحرر الوطني والسلام ، ولكن الفكر الاخر المعادي للاشتراكية ، تحت رداء العداء للشيوعية ، يجد طريقه ايضا الى نفس الصفحات ، وبجمع المنهج الواحد ، والكتاب الواحد بين معاداة الاستعمار والدعوة الى معاداة الشرق والغرب كليهما معا ، ذم الاستعمار والامبريالية ، وذم الشيوعية ايضا ، فضح السياسة الامريكية الاستعمارية ، وتمجيد نموذجها وفكرها في نفس الآن .. الدعوة الى الفكر العلمي والاخذ بالمنهج العلمي وسيطرة الغيبيات والفكر المتخلف من الناحية الاخرى . ونحيل القارىء على مناهج وكتب اللغة العربية والمواد القومية والاجتماعية ، والفلسفة والاجتماع ...

ونستطيع ان نتبين بوضوح ، بمراجعة سريعة لمناهج وكتباللغة القومية والمواد القومية وبالأخص التاريخ والجغرافيا والفلسفة والاجتماع الطابع الوطني المحدود الذي يسيطر عليها ، والذي يقف عند حدود مفهوم الثورات الوطنية في القرن الماضي او بداية القرن العشرين على اكثر تقدير ، ويحتبس داخل الاطار البورجوازي ولا يستطيع ان يعبره الى فكر القرن العشرين ، الفكر الثوري التقدمي والعلمي ، والذي يلاحم بين الفهم الوطني والتحليل الاجتماعي والطبقي. لا زال فكر العشرينيات والثلاثينيات بالأخص الاجتماعي هو المنظور الغالب في الادب العربي والمواد الانسانية والاجتماعية .

وهذه في الحقيقة هي العلة في عزلة هذه المناهج وفشلها وضعفها وانصراف الطلاب عنها ، وعجزهم عن التجاوب معها ، تلك الظواهر التي يعترف بها ويشكو الجميع .

اما التربويون ، والفنيون ، والتكنوقراط داخل الوزارة فلا يرون العلة الا في عجز الوسائل التربوية الحديثة ، ويضعون العلاج دائما لربط المناهج بالحياة في استخدام اساليب التربية الحديثة وطرقها ، والتقنيات الحديثة في الميدان التربوي بالتوسع في استخدام السينما والاذاعة والتلفزيون والوسائل والاجهزة السمعية والبصرية ، وكلها بلا شك مطلوبة ومفيدة . ولكن الشيء الذي لا يستطيعون ان يروه لعزلتهم السياسية والاجتماعية .. ان وسائلهم الحديثة هذه كلها لا تجدي ولن تجدي مع المناهج والكتب في وضعها الراهن . لان كتب التاريخ والجغرافيا والفلسفة والاجتماع والمجتمع العربي تقف عند مفاهيم القرن الماضي ، وعند الثورة الفرنسية والانجليزية والاميركية وتقدمها نموذجا للثورات في العالم !! فلا تستطيع ان تقدم للتلاميذ الاجابات على تساؤلات العصر وقضاياه التى تطرحها اليوم ثورات آسيا وافريقيا وعالمنا المعاصر ، ومن ثم لا تستطيع ان تحرك عقولهم او قلوبهم ، او ترتبط في قليل او كثير بواقع حياتهم وشواغلهم . هذا هو الجذر الدفين لعزلة المناهج عن الحياة ، وليست هي عزلة عن وسائل التربية الحديثة او قصورا في استخدامها ،كما يتخيل التربويون والفنيون .. نفس القضية بالضبط التي تواجهها ايضا في الحقل الثقافي ، في الكتاب والصحافة وعلى خشبة المسرح، وشاشة السينما . الاعمال التي تعجز عن شد انتباه الجمهور ،او اثارة اهتمامه وفكره هي الاعمال التي تقصر عن طرح قضايا العصر او تفهم ابعادها الحقيقية . العلة في الاساس في المضمون رغم اهمية

الشكل .. وسيظل الفكر المعزول والمتخلف عن العصر لا يحرك عقلا ولا قلبا ، لا في الكبار ولا في الصغار .

وتحت تأثير الفكر المتخلف والبراجماتي على وجه الخصوص الذي يريد العلم بلا فلسفة ، والتجريب بلا نظرية ، وهو الفكر الذي اشاعته المدرسة القبانية البراجماتية ، تحت هذا التأثير تتراجع المواد الانسانية الى الوراء ، ولا تحتل الدور الذي ينبغي ان تقوم به في بناء وعي المواطن ونظرته . ولذلك فمن السمات الاساسية في خطط الدراسة سواء في التعليم العام او الفني ، قلة الدروس المخصصة للعلوم الانسانية . ففي خطة الدراسة في التعليم الثانوي العام تقف مناهج العلوم الانسانية عند الصف الاول لتستمر فقط بالقسم الادبي ، وتستبعد تماما من القسم العلمي ، فيما عدا درس واحد للتربية القومية ، وحتى هذه المادة بدأت تتناهبها الانواء .. ولا مكان في قسم العلوم الذي يضم الاغلبية الساحقة من الطلاب لمواد التاريخ او الجغرافيا او الفلسفة .. وبذلك يعزل التكوين العلمي للطالب، عن تكوينه الانساني ،وبناء وعيه ، مما يضعف تكوينه العلمي نفسه .

وفي المدارس الثانوية الفنية تشمل الخطة المواد الثقافية العامة في حدود الصف الاول فحسب .

المناهج بهذا الوضع تعبير عن الفهم التكنوقراطي المتخلف ،وعقلية الفنيين المتخصصين المعزولين عن العمل السياسي والحركة الاجتماعية. ونكتفي بهذا القدر في هذا الموضوع الخطير الذي يحتاج الى التمعن حتى في التفاصيل . (١)

ولكن قضية محتوى التعليم ومضمونه ، يجب ان ينظر اليها من زاوية اخرى ، فان صياغة العقلية العلمية والنظرة العلمية التي ينبغي ان تكون هدف التعليم والمناهج لا تأتي من المدرسة وحدها بالطبع ، بل تأثير البيئة والوسط المحيط ابعد اثرا وقد يلغى دور المدرسة الغاء . فماذا اذا كانت اجهزة اعلامنا وصحافتنا تروج للغيبيات والاوهام ، وبعض صحفنا تفرد صفحات كاملة للعلاج بالبندول وبالارواح ولتنبوءات المنجمين ، تفتش عن مصير معركتنا مع العدو المدجج بالعلم والتكنولوجيا .. ان نفس الفئات اليمينية الرجعية والمعادية للاشتراكية والتي تسيطر على القرية وعلى مراكز الفكر والثقافة الحساسة في المدينة ، لا تشيع جوا ملبدا بالاوهام والغيبيات . ان ازاحة نفوذ هذه الطبقات المعادية وضرب سيطرتها ، شرط لازم لنجاح المدرسة في ارساء تقاليد الفكر العلمي والتقدمي .

الاصلاح ام الثورة في التعليم (٢)

قضايا التعليم تلح الحاحا شديدا ، وهناك شعور عام بالفشل، واحساس بالتدهور الشديد في مستوى التعليم ونوعيته .. والحلول التي تقدم لمشاكل التعليم وقضاياه لا تحصى ، ومحاولات الاقتباس والنقل من النظم التعليمية في البلدان الاخرى لا تتوقف .. ومع ذلك فهذه الاحاسيس والمشاعر لا تكف .

والحقيقة ان الاوضاع التعليمية في مصر بعد كل الرحلة التي قطعتها تثير بقوة قضية الاصلاحات الجزئية وجدواها .. وقضية الثورة في التعليم وما تعنيه ؟

ولنأخذ على سبيل المثال قضيتين ، قوميتين بحق ، ويقعان في حذر كل القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وهما : قضية تعميم الالزام ، وقضية محو الامية .. والقضيتان مرتبطتان اشد الارتباط .

الجهود التي تبذل للانتهاء من تعميم الالزام ، والاموال التي تنفق كبيرة حقا ، وكان المخطط في الاصل ان يتم الانتهاء من هذه القضية تماما في عام ١٩٧٠ ومع ذلك فان الهدف لم يتحقق بعد ، ولا زالت نسبة الاستيعاب بالمدارس الابتدائية لا تتعدى ٨٠ بالمئة في المدن الكبرى . هذا على الورق ، وهي في حقيقة الامر اقل من ذلك بكثير خاصة في الريف . ويزيدها ضعفا ما يسمى بظاهرة التسرب ،ويقصد بها تبدد تلاميذ المدرسة الابتدائية خلال سني الدراسة ، وهجرانهم لصفوفها بعد تسجيلهم رسميا بها على الورق . وتقدر بعض التقارير الرسمية نسبة المتسربين والذين لا يواصلون الدراسة حتى نهاية الالزام بما يصل الى ٩ بالمئة وهو في الحقيقة تقدير متفائل ، اما بعض التقارير الاخرى ، فتؤكد ان الفصل المسجل بقوائمه رسميا اربعين تلميذا لا يتعدى الحضور فيه العشرين تلميذا في الكثير من القرى .

ولا شك ان القصور في استيعاب كل الملزمين ، الى جانب هذه النسبة الكبيرة المتسربة ، تخلق مباشرة موارد متجددة للامية . والامية بدورها رغم كل الجهود التي تبذل ، وكل القوانين التي تصدر ، واخرها قانون جديد لمحو الامية صدر اخيرا ، لا زالت ثابتة عند نسبة ٧٠ بالمئة وقد تصل الى ٨٠ بالمئة بين النساء ، وهو واقع اجتماعي واقتصادي وسياسي خطير ، لا يجوز السكوت عليه . ذلك ما يطرح اسئلة ملحة تضغط على العقول ضغطا شديدا :

لماذا هذا الفشل بازاء مسائل قومية بهذا الخطر .. وما العلاج اذن ؟ ويبحث البعض عن الحل في نجارب البلدان المتقدمة .. ويرجعه البعض الى قصور فينا .. والواقع ان الاسباب والعلاج أعمق وابعد .. ويكمن في فهمنا دائما لقضية التعليم في ارتباط لا ينفصم عن حركة الثورة .. وعن الطريق الذي اختارته لمسارها .

ونترك جانبا الاسباب المباشرة في تفاقم قضية الالزام في البلدان المتخلفة عموما ، وهي الانفجار السكاني الى جانب ارتفاع نسبة الاطفال في سن الالزام من ٥ ـ ١٤ بالقياس الى من هم في سن العمل ،وذلك كظاهرة عامة في كل البلدان المتخلفة ،وهو الامر الذي يزيد من فداحة الحمل على هذه البلدان . نترك هذه الاسباب ونتفحص الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية الراهنة في الريف لمزيد من الفهم لابعاد

---

(١) للقارىء الذي يرغب في المزيد ان يعود الى الدراسة المقدمة الى المركز العربي للدراسات السياسية والاقتصادية عن « قضية التعليم والثورة » والذي نشر بمجلة الطليعة اكتوبر سنة ١٩٦٨ ـ وكذلك «تهافت الفلسفة الرجعية » مجلة الكاتب فبراير سنة ١٩٧٠ .

(٢) راجع مقالنا « الاصلاح او الثورة في التعليم » مجلة الكاتب نوفمبر سنة ١٩٦٨ .

المشكلة . ونبدأ بخريطة توزيع الملكية قبل قوانين الاصلاح الزراعي وبعده :

حجم الملكيات	قبل صدور قانون الاصلاح عام ٥٢ عددالملاك (بالالف)	النسبة المئوية للملاك	بعد صدور قانون النسبة المئوية للمساحة	عدد الملاك(بالالف)	الاصلاح عام ٥٢ النسبة المئوية للملاك	النسبة المئوية للمساحة	بعد صدور قانون الاصلاح ٦١ (١) عددالملاك بالالف	النسبة المئوية لعدد الملاك	النسبة المئوية للمساحة
اقل من٥فدان	٢٦٤٢	٪٩٤٫٣	٪٣٥٫٤	٢٨٤١	٪ ٩٤٫٦	٪ ٤٦٫٤	٢٩١٩	٪٩٤٫١	٪٥٢٫١
٥ فدان	٧٩	٪٢٫٨	٪٨٫٨	٧٩	٪ ٢٫٦	٪ ٨٫٨	٨٠	٪ ٢٫٦	٪ ٨٫٦
١٠ فدان	٤٧	٪ ١٫٧	٪١٠٫٧	٤٧	٪ ١٫٦	٪١٠٫٧	٦٥	٪ ٢٫١	٪١٠٫٧
٢٠ فدان	٢٢	٪ ٠٫٨	٪١٠٫٩	٣٠	٪ ١٫٠	٪١٣٫٦	٢٦	٪ ٠٫٨	٪١٣٫٤
٥٠ فدان	٦	٪ ٠٫٢	٪ ٧٫٢	٦	٪ ٠٫٢	٪ ٧٫٢	٦	٪ ٠٫٢	٪ ٧٫٠
١٠٠ فدان	٣	٪ ٠٫١	٪ ٧٫٣	٣	٪ ٠٫١	٪ ٧٫٢	٥	٪ ٠٫٢	٪ ٨٫٢
٢٠٠ فدان فاكثر	٢	٪ ٠٫١	٪١٩٫٧	٢	٪ ٠٫١	٪ ٥٫٩			

من الواضح انه برغم الضربات البعيدة التي وجهها الاصلاح الزراعي للاقطاع ، فلا زالت الكتلة الكبيرة هي من فقراء الفلاحين الذين يملكون اقل من ٥ افدنة ، وهم يمثلون في الريف ٩٤٫١ بالمئة من الملاك ، ولم تزد ملكيتهم من الارض بعد الاصلاح الزراعي الاخير في ٦١ عن ١٠٫٩ من الفدان في المتوسط . ونستطيع ان نتخيل بالطبع حال الفلاح الذي تدور ملكيته حول الفدان الواحد ، فالغالبية الكبيرة من هؤلاء يضطرون الى بيع قوة عملهم وعمل اولادهم الاخرين .. فاذا اضفنا الى الصورة ١٫٣٠١٫٩٤٥ من الاجراء المعدمين ، حسب احصاء ١٩٦٠ وهؤلاء يعتمدون اعتمادا كاملا على قوة سواعدهم ، وعلى بيع قوة عمل ابنائهم بالذات ، كمصدر اساس للرزق ، عندئذ تتكامل لدينا الصورة عن عدد الاطفال الذين لن يخضعوا للالزام مهما كانت العقوبات ، ومهما وفرنا لهم من امكنة ، طالما تعارض الالزام ولقمة العيش الضرورية .

فاذا فحصنا نسبة قوة العمل الى جملة السكان موزعة حسب فئات السن لعثرنا على هذه الحقيقة مجسدة :

نسبة قوة العمال الى جملة السكان في كل فئة من فئات السن

فئات السن	٦-١٤	١٥-١٩
المحافظات الحضرية	٦٫٧	٣٠٫٧
جملة الحضر	٥٫٣	٢٤٫٣
الريف	٢٫٧	٤٩٫٢
جملة الجمهورية	١٤٫٧	٣٩٫٣

فالجدول السابق يوضح ان نسبة الاطفال الذين تضطرهم ظروفهم الى بيع قوة عملهم بين سن ٦-١٤ لا تقل عن ٥ بالمئة واكثر من ٢٠ بالمئة من اطفال الريف . هؤلاء سينقطعون عن المدرسة بالضرورة او يتسربون ، ومقضى عليهم في الاغلب بالامية . ولا تجدي في هذا لا القوانين ولا العقوبات ولا الغرامات .

واذا اخذنا في الاعتبار ايضا ان متوسط الاجر للمشتغل بالزراعة هو ٤٤٫١ اي ما يقرب من ٣٫٥ جنيه شهريا لادركنا استحالة تطبيق الالزام في الريف بحالته الراهنة .

قضية الالزام اذن هي بعينها قضية انجاز مهام الثورة في الريف، بمعنى تغيير علاقات الانتاج القائمة، وتقل مستوى الفلاح الفقير والمعدم واخراجه من الوضع الراهن .

فاذا نظرنا الى الوجه الاخر من الصورة ، الى قضية الامية لتاكدت لدينا نفس الحقيقة .

فعلى الرغم من تراجع نسب الامية بين احصاءات ٣٧ و٤٧ و٦٠ الا ان كتلة الاميين في الحقيقة تزيد بسبب الزيادة السكانية

هذه الامية المتفشية ليست مجرد وصمة عار في عصرنا ، بل هي ايضا ثقل خطير يضغط على الانتاج . فالتجارب التي اجريت في مركز تنمية المجتمع العربي بسرس الليان (٢) فضلا عن الحقائق القاطعة التي تثبتها الدراسات العالمية ، تدل على ان التعليم البسيط الذي يحصل عليه العامل خلال عام واحد يزيد من نتاجيته بنسبة ٣٠ بالمئة واذا اخذنا متوسط الانتاجية المشتغل كما دل عليه احصاءات ١٩٦٥ وهي كالاتي :

الزراعة	١٩٦٫٥	جنيه
الصناعة	١٦٨٫٥	جنيه
الكهرباء	٢١٧٢٫٢	جنيه
التشييد	٥٢٤٫٩	جنيه
الخدمات	٤١٨٫٤	جنيه

واذا قدرنا عدد المشتغلين في العام المذكور ب ٧٫٣٣٣٫٠٠٠ منهم حوالي ٦٠ بالمئة اميين ، فبعملية حسابية يتضح ان الانتاجية الضائعة بسبب الامية لدى اكثر من نصف المشتغلين تزيد على مائة مليون جنيه سنويا (٣)

هذا الواقع المؤلم للقوى العاملة في بلادنا ينعكس مباشرة في الانتاج وتكشف عنه الارقام التالية :

في عام ١٩٦٦ - ٦٧ لم يزد معدل نمو انتاجية العمل في القطاع الصناعي على ٢٫١ بالمئة وهذا المعدل يقل عن مثيله في الدول الاخرى في الشرق والغرب . فانتاجية العمل في الدول الاشتراكية زادت بمعدل ٦٫٨ بالمئة سنويا وذلك في الفترة ما بين ٥٨ - ٦٣ وفي الدول النامية في شرق وجنوب اسيا معدل الزيادة في انتاجية العمل ٣٫٤٪ (٤) في الفترة ذاتها . ولا شك ان هبوط انتاجية العمل عندنا تتدخل فيه العديد من العوامل والاسباب . ولكن يقف على رأسها الامية ، ونقص الخبرة والعجز في الكوادر الفنية المدربة المطلوبة على مختلف المستويات .

وحسب تقديرات الجهاز المركزي للتعبئة والاحصاء نقرأ التقديرات التالية عن زيادة انتاجية العمل خلال الخطة الخمسية الاولى بالقياس الى سنة الاساس ٥٩-٦٠

---

(١) الكتاب السنوي للاحصاءات العامة ج.ع.م ١٩٥٢ - ١٩٦٦ الجهاز المركزي للاحصاء

٢ - « الامية والاشتراكية وخريجو الجامعات » الاهرام الاقتصادي ١٥ سبتمبر سنة ١٩٦٨

٣ - الاهرام الاقتصادي ١٥ سبتمبر سنة ١٩٦٨

٤ - الاهرام الاقتصادي ١٥ مايو سنة ١٩٦٨ .

تطور متوسط الانتاجية للمشتغل خلال الخطة الخمسية الاولى
٥٩ ـ ٦٠ الى ٦٤ ـ ٦٥

القطاع	نسبة الزيادة في السنة الخامسة عن نسبة الاساس
الزراعة	٪٩٠٧
الصناعة	٪٩٠٠
الكهرباء	٪٢٩٠٤
التشييد .	٪٤٠٩

كل هذه الارقام تصب في حقيقة واحدة ، هي استحالة احداث الثورة الانتاجية ، ومن ثم انتصار الثورة الاجتماعية والسياسية والفكرية ، دون تحول اساسي في حالة القوى العاملة التعليمية والثقافية ، وبالاخص في مستوى القاعدة العريضة من قوة العمل .

والوجه الاخر للعملة الذي ابتناه ، ان اي تغيير اساسي في حالة القوة العاملة التعليمية والقضاء الحقيقي على الامية يستحيل ايضا دون المضي في نفس الوقت في تحقيق الثورة الاجتماعية في الريف. فكلا العاملين يشد احدهما الاخر ، ومجرد الرجوع الى الجدول السابق عن توزيع الملكية في الريف يكشف لنا عن هذا الاثر المتبادل .

فالاحصائية تثبت ان نسبة من يملكون اقل من ٥ فدادين في ريفنا لم تتغير قبل تطبيق الاصلاح الزراعي وبعده ، وعدد المعدمين يزيد بسبب معدلات الزيادة في السكان ، مع عدم تزايد مساحة الارض بنفس النسبة ، ومعنى ذلك ان كتلة الفلاحين الفقراء في القرية لازالت على حالها وانساعها . هذا من ناحية ، ولكن ضرب الاقطاب لازمته حقيقة اخرى هامة هي ارتفاع نسب الملاك بين ١٠ و١٠٠ فدان ، وكذلك في مساحات الارض التي يملكونها . ومعنى ذلك ان حزب الاقطاع لم يضعف ، بل على العكس قوي ودعم مراكز اغنياء الفلاحين. وقد تكون هذه الفئات وطنية بالمقارنة بالاقطاعيين ، ولكنها بحكم اوضاعها الاجتماعية وترائها ، هي فئات نهمة ! استغلالية ، شديدة الرجعية اجتماعيا وفكريا . وهي في حقيقة الامر الفئة القابضة والمسيطرة على الريف ، وعلى اقتصادنا الزراعي منذ الثورة .. وهي بعينها التي تسيطر على التعاونيات وتحزبها وتحولها الى حسابها، وهي تمارس نفوذا وسطوة شديدة في الريف ..

كيف نتصور اذن امكانية تنظيم ونجاح حملات محو الامية ؟ مع بقاء سيطرة هذه الفئات التي تعادي حركة الفلاحين عداء شديدا، وتخشى كل الخشية من هذه الحركة ، ومن تسرب الوعي الى صفوف الفلاحين .

الصورة المقابلة هي التي حدثت في البلدان الاشتراكية .. فمحو الامية تم بنجاح تحت نفس الشعار الذي حرر الفلاحين ، شعار الارض لمن يفلحها .. ولان الفلاح المعدم اصبح هو سيد الارض ، وهو صاحب المصلحة في تطوير انتاجيته على اسس علمية .. فليس بغريب ان يقبل على محو الامية ، بل ويشارك بحماس في تنظيم حملاتها ويقودها .. والانتظام في صفوف الدراسة بالنسبة لهذا الفلاح ليس ترفا زائدا ولا عبئا ثقيلا يضاف الى عبء عمله واستغلاله وانهاكه من قبل الاخرين؛

ان قضية محو الامية في الريف ، ليست قضية تعليمية بالدرجة الاولى ، ولا قضية وسائل تقنية في التعليم او قوانين ، بل هي قضية الثورة وتقدمها .. تلك الثورة التي لم تصل بعد الى حياة ريفنا .

وحتى تزاح سلطة الفئات الاجتماعية الرجعية المسيطرة ، واجهزتها المنفذة ، والتي تعوق اي حركة حقيقية تجاه تنوير الفلاحين ، وحتى تتقدم الثورة في الفلاحين الى مواقع ابعد ، ويخرج الفلاحون من اكواخ الطين ، وتتغير اساليب عملهم وحياتهم ، التي لا تتطلب اليوم علما ولا معرفة بل يكفي فيها الموروث ، ولا تتحدى فيهم شعورا ، ولا تثير احساسا بالعجز امام الجديد ، حتى يتم ذلك التغيير ويتحول محو الامية الى جزء منه ، ستظل كل الجهود محدودة الثمرات .. وسينظر الفلاح الى محو الامية كترف لا يطلبه ولا يقوى عليه ، هو ثقل يضاف الى اثقال حياته الراهنه .

لقد نجح الاتحاد السوفياتي ، كما نجحت الصين وكوبا .. وحققت هذه البلدان نتائج باهرة في محو الامية .. لانها نظمت حملات قوية ، وبذلت جهودا مضنية فادتها احزابها الشيوعية .. هذا صحيح .. ولكنها نجحت اولا واخيرا لانها احدثت ثورة ..ولان محو الامية فيها اصبح وجها لانتصار الثورة الاشتراكية .. تلك هي القضية .

قضايا .. ومشكلات

قضية التعليم في بلدان العالم الثالث اصبحت هي قضية التقدم، وهي اختيار طرق الثورة ، وقطع الطريق على كل محاولات السير في طرق الرأسمالية المسدود .. والمشكلات الرئيسية التي تطرح اليوم.

- مشكلات المستوى والعائد من العملية التعليمية ونوعية التعليم
- ومشكلات القبول في مراحل التعليم والهرم التعليمي
- ومشكلة هيكل البناء التنظيمي للتعليم
- ومشكلة المحتوى والمضمون في التعليم
- ومشكلات المعلم وحركة المعلمين .

كلها مشكلات تتشابك ، ولا تنفصل عن قضايا الاقتصاد والاجتماع والسياسة ، وهي عصب مشاكل التنمية وبناء الدولة العصرية المتقدمة والصراع الدائر حولها ، ليس صراعا فنيا ولا هو صراع بين اهل الاختصاص ، بل هو صراع في حقيقة الامر حول مفهوم هذه الدولة وطريقها ، بين تيارات الحركة الاجتماعية في اتساعها ،واجنحتها داخل حركة الثورة في هذه البلدان .

ولنأخذ اخطر هذه المشكلات ، او ما يبدو اخطرها ، والتي تفرض نفسها فرضا وبالحاح ، وهي مشكلات الكيف في التعليم كما يحلو للبعض تسميتها وضعف العائد والنوعية الهابطة التي يشكو منها الجميع .

والامر الذي لا جدال فيه ان نوعية التعليم قد هبطت بالفعل وبشكل ملحوظ في السنوات الاخيرة ، الى الحد الذي يخرج معه التلميذ بعد سني الالزام لا يكاد يقرأ او يكتب . وفي مراحل التعليم الاخرى تدل نتائج الامتحانات على فاقد كبير ، والدروس الخصوصية اصبحت هي الوسيلة الوحيدة التي يملكها الاباء لضمان النجاح او المرور في اي مرحلة ، والكتلة الكبيرة لا يمكن ان تملك هذا السلاح الباهظ التكاليف ، فمصيرها في الاغلب متروك للقدر. والجامعات ايضا تشكو من ضعف مستوى الثانوية والمؤسسات بدورها ومواقع العمل تشكو بدورها من خريجي الجامعات !!

ما هي الاسباب ؟ وما هو العلاج ؟

اما الفنيون ، والتكنوقراط التربويون فتقف الرؤية عندهم عند حدود الفن التربوي ، ومن ثم ينخرطون في تغييرات لا تكف في المناهج والكتب ، ما بين حذف واضافة ، وهكذا دواليك ..!! وبحث في طرق التدريس ووسائله التقنية !! ثم الغاء اللوم اخر الامر على المعلمين والمعلمات بشكل اخص . والاهم الدعوة الى الحد من التعليم، بدعوى تضخم الكم ، وضرورة توجيه العناية الى الكيف

لماذا ؟

لا شك ان للاسباب والوسائل الفنية دورها ، والتربية علم وفن له مبادئه واصوله ما في ذلك شك ، وعلاج النواحي الفنية ضرورة ..

ومع ذلك فلماذا يفشل العلاج دائما ؟

لان الاسباب ابعد ، والقضية اعمق ترتبط بالكيان الاجتماعي كله، وقد نجملها في كلمات :

ـ لان الفصول مكدسة تصل احيانا الى ٦٠ طفلا في الفصل

ـ والمعلم يعمل عدد ساعات مضنية وبأجر لا يذكر ، ويتحمل ما هو فوق الطاقة .. يلقى به في اقصى القرى حتى وبلا مأوى !!

ـ ولان الاباء من العمال والفلاحين وصغار الموظفين لا زالوا يعيشون في الظروف المادية والفكرية والثقافية ، التي تلغي دور المدرسة ان كان لها دور ، وتجعل التحصيل والدرس ، استحالة في بعض الاحيان .

ـ ولان الاطفال الجمهرة العظمى من الفلاحين تضطر الى معاونة ابائها في الحقل ، ولا يترك لها بقية من جهد ، هذا اذا لم تنقطع عن الدراسة تماما ..

ونستطيع ان نمضي في ذكر هذه الاسباب وغيرها كثير ، وكلها معروفة ، وكلها تصب في حقيقة واحدة هي الاحوال التي يعيشها الشعب العامل وابناؤه ، والتي تجعل التحصيل احيانا شبه استحالة.

نقطة البدء في التغيير ليست هي المدرسة ، بل هي احوال الشعب العامل المادية والروحية ، ويصبح اصلاح المدرسة ورفع مستوى الاداء فيها جزءا لا يتجزأ عن احداث هذا التغيير ، ولو خطوة بخطوة.

لا يعني هذا ابدا ان نقف مكتوفي الايدي ، وان ننتظر حتى تتغير الاحوال .. بل معناه ان تعتدل القضية وتوضع على قوائمها الصحيحة، وتأخذ طريقها الى الحل .. وان يتحدد الهدف ، ويتم الاصلاح المدرسي داخل هذا الاطار .. اما الاصلاحات الجزئية واليومية ، فهي لا تقف ، ولا يجوز ان تقف ، ويجب ان يقوم بها الاباء والمعلمون وكل مسئول .. وتستطيع التنظيمات الشعبية والسياسية ان تفعل الكثير نحو توفير ظروف التحصيل للفقراء ، والمأوى للمعلمين ، والتقوية للضعفاء من التلاميذ ، وحتى الغذاء لمن يحتاجونه .. وهذه مجرد امثلة .. ولكن الاصلاح وهو ضرورة لا يجب ان يحجب الثورة ..

● ولنتأمل الهرم التعليمي لنرى ما وراءه . توزيع طلابنا على مراحل التعليم سنة ١٩٦٨ كان على الوجه التالي :

المرحلة	عدد تلاميذ المرحلة ١٩٦٨	النسبة الى القاعدة بالابتدائي
الابتدائي	٣،٥٥٠،١١٩	
الاعدادي	٧٧٥،٣٠٦	٢١،٨ ٪
الثانوي العام	٢٧٦،٠٧٥	٧،٧ ٪
الثانوي الفني	١٩٧،٠٥٤	٥،٥ ٪
الجامعات والمعاهد العليا	١٧١،١٣٣	٤،٨ ٪

هذا الضيق في القمة يقف على قاعدة هي اصلا ضيقة نتيجة الامية والعجز عن استيعاب كل الملزمين . وبالطبع فان القلة التي تصل الى القمم الرفيعة من المعروف انتماؤها الطبقي .. فهي في الظروف السائدة لا يمكن الا ان تكون من ابناء البورجوازية في الاساس .

وتقدم احصاءات اليونسكو عدد الطلاب بالتعليم العالي لكل ١٠،٠٠٠ من السكان في بلدان العالم ما يكشف عن الهوة بين التقدم والتخلف : (١) .

ج.ع.م	٥٦٥	كندا ٢٢٠١	الولايات المتحدة ٣٤٧١
اسرائيل	١٤٨٨	اليابان ١٣٩٨	تشيكوسلوفاكيا ٩٦١
فرنسا	١٢٣٩	المملكة المتحدة ٧١٦	يوغوسلافيا ١٠٥٧

الاتحاد السوفياتي ١٦٦٠

ومع ذلك فان تقرير اللجنة الوزارية للقوى العاملة عن سياسة التعليم يرى كما ذكرنا ان الخريجين عندنا حتى من العلميين قد زادوا ، وتركز عديد من اجهزة الاعلام على تشجيع هجرة حتى المهندسين والاطباء والفنيين تحت نفس المزاعم .

هذا الهرم الضيق في القمة افترن بظواهر خطرة تكشف عن حقيقة القيم السائدة في التعليم ، فقد اصبح من الظواهر المألوفة في نهاية كل عام وقوع العديد من الانهيارات وحوادث الانتحار (٢) خصوصا على ابواب الجامعات . والظاهرة في الحقيقة طبيعية تماما في ظل القيم السائدة ، حيث تحول التعليم الى اداة للامتياز الطبقي ولتعميق الفروق الاجتماعية . واي مراجعة ولو سطحية لسلم الاجور يعطي العذر للمنهارين والمنتحرين الذين تسد في وجوههم سبل التعليم العالي . ففي اعلى القمة الوظيفية تصل المرتبات الى ١٨٠٠ ـ ٢٠٠٠ جنيه غير بدلات التمثيل حتى بعد تخفيضها ، وفي ادناها الدرجة المالية الثانية عشرة بين ٦٠ ـ ١٨٠ جنها ، فاذا اضفنا المتوسط العام لدخل الفرد الذي لا يزال في حدود ٥٩،٨ جنيه حسب التقديرات في اخر سني الخطة الخمسية ٦٤ـ٦٥ (٣) فان الجامعي الذي يبدأ حياته بالعمل بالدرجة السابعة بمرتب ٢٤٠ ـ ٤٨٠ جنيها ، رغم ضآلة مرتبه فانه يبدو خيالا بالقياس الى قاع السلم . لقد عمقت قيمة الشهادات والاوراق على يد الفئات والطبقات الجديدة ، التي لا زالت ترفض قيمة العمل ، كقيمة اساسية .

● اما هيكل النظام والبناء التعليمي فهو يعكس بجلاء تصور الطبقات الجديدة لاداة التعليم ولاهدافه . فقد ظل النظام التعليمي كما كان مغلقا معزولا عن مواقع العمل والانتاج . وبالاضافة الى القيود بين المراحل التعليمية والتي تعوق كما رأينا في الظروف السائدة ابناء الشعب العامل عن مواصلة الدراسة ، فان امكانية دخول غير حملة الشهادات وخريجي التعليم النظامي تكاد تكون مستحيلة . وقد قرر نظام الانتساب في الجامعات في بداية الثورة تحت ضغوط شديدة ، وقصر على الكليات النظرية فحسب ولم يلبث حتى ضيق عليه حتى اصبح في حكم الملغى .

اما البلدان الاشتراكية التي بدأت ثورانها من تخلف شديد ، فقد صنعت بنظامها التعليمي العكس ، اصبح اساسة الانفتاح لا الانغلاق على قوة العمل بالمصانع والحقول ، ولم يعد هناك فاصل بين التعليم النظامي ، والتعليم عن طريق المراسلة ، والفصول المسائية ، ومدارس بعض الوقت وغيرها . واصبحت السياسة الثابتة هي تشجيع الجمع بين العمل والتعليم بكل الوسائل وانواع التيسيرات ؟ بذلك تحول التعليم الى اداة في يد الطبقات المنتجة ، اداة ديموقراطية لتصفية الامتيازات القديمة ، ولنقل كتلة العاملين من مستوى الامية الى مراكز القيادة والتوجيه والسلطة .

● المعلم ... لم يعد هناك حيز لاستطراد .. ومع ذلك فنحن بازاء القضية الرئيسية .. فان تصور اي تغيير حقيقي في التعليم دون تغيير بعيد في حياة المعلم واوضاعه لا يخرج عن دائرة الوهم .

فالانسان على اي حال ، قبل الآلة ، وقبل النظم ، وقبل السلاح في الحرب. هو الفصل ، وهو العنصر الحاسم. والمعلم المصري باوضاعه المادية والادبية يقع في قاع الطبقة المتوسطة الصغيرة ، واكثر من هذا فقد اصبحت نقابة المعلمين اداة ضغط وتجميد لحركة المعلمين وحشدت لها كل الكفايات النقابية الصفراء ، وفي بيئتها تفرخ كل افكار التخلف والجمود والرجعية . ان حل قضية المعلم ونقابته جزء لا ينفصل عن قضية المقرطة الشاملة في الاقتصاد وفي النقابات

(١) الكتاب السنوي الدولي للتربية ١٩٦٩

(٢) راجع مقالنا لماذا ينتحرون مجلة الكاتب اغسطس ١٩٦٨

(٣) سنوات التحول : علي صبري

العمالية والمهنية .

● النظرية التربوية .. الكلام عن المعلم وتغيير اوضاعه غير بعيد عن النظرية التربوية التي يصاغ بها عقله وفهمه المهني والسياسي . وقد ركز الاستعمار الاميركي بوجه خاص (١) على ميدان التربية والتعليم في مصر وفي كل بلدان العالم الثالث . وقد قامت مؤسسات خاصة فرانكلين بعملية اغراق للسوق العربية بكتبها التربوية ، واختارت ادواتها في هذه العملية من مدرسة اسماعيل القباني ، مدرسة التكنوقراط التربويين ، وهو امر طبيعي فهناك التقاء فكري كامل . ولا زالت تصفية آثار النظرية التربوية البراجماتية ، نظرية الاستعمار الجديد ، واحلال النظرية الثورية في مكانها تحتاج الى كل جهود المثقفين الثوريين .

الطريق .. والمستقبل .

ان عبء التعليم الى جانب عبء التنمية وهو شقها الاخر ، عبء بالغ الثقل في كل بلدان العالم الثالث ، يحتاج الى تعبئة موارد وقوى مادية وروحية هائلة ، تعجز عنها تماما اي دولة تابعة تربط مصيرها بالامبريالية ، وبطريق النمو الرأسمالي .. وتصبح الدولة العصرية المتوهمة بالمعونات الاميركية وتحت المظلة الاميركية التي تلهث وراءها الطبقات الجديدة اليمينية سراب لا طائل وراءه . ان حسم طريق التحول الاشتراكي ، في هذه البلدان هو نقطة البدء وشرط كل اصلاح جذري لقضايا التعليم وغير التعليم .. وهو شرط قيام الدولة العصرية الديموقراطية المضمون بالضرورة .. دولة الطبقات الوطنية الثورية .

والناصرية كحركة تاريخية ثورية وتقدمية ، من خلق حركات التحرير الوطني الثورية جمعت في مسارها العديد من الطبقات الوطنية والتقدمية التي تعادي الاستعمار وترغب في التقدم ، والاصلاح الاجتماعي وتحلم بالرخاء وباشكال من الاشتراكية قد يطبعها الخيال في كثير من الاحيان . ولانها مثلت حلفا واسعا بين العديد من التيارات على الاساس الوطني ، فقد صاحب حركتها صراع شديد ، وانسلاخ فئات طبقية كانت ترى في تقدم الثورة خطرا على مصالحها ، كما سادها في الاغلب ايديولوجية الوسط والتوفيق . ولكن دروس العالم الثالث كله ، تثبت بما لا يدع مجالا للشك ، ان الخطر على هذه النظم والثورات يأتي من داخلها في الاساس ، وان عدوها الرئيسي وهو الاستعمار الجديد يركب على وجه التحديد الاجنحة اليمينية فيها ، ويستفيد من سياسات التردد والضعف . ان تقدم هذه الثورات وامنها وحمايتها ، رهن بهزيمة سياسة الوسط وتصفية مواقع اليمين ، وحسم طريق التحول .

ان الناصرية كحركة تاريخية ثورية وتقدمية مدعوة الى ان تتخطى ذاتها ، هذا اذا جاز التعبير اصلا وقبله القاموس السياسي ، ونعني به هزيمة اليمين بداخلها ، وتصفية مواقع الطبقات الجديدة التي اغتنت واثرت بعد ازاحة مواقع الاستعمار والطبقات القديمة ، والتي تخفي انتماءها الحقيقي وعداءها لحركة الجماهير الشعبية تحت اقنعة العداء للشيوعية .

ان التحالف الثوري بين قوى اليسار على نطاق العالم العربي كله ، بين اليسار الشيوعي واحزابه واحزاب الطبقة العاملة واليسار العربي والناصري الوطني هو وحده القادر اليوم على تخطي المرحلة الراهنة التي يمر بها الوطن العربي ، وتوفير الشروط الاولية للانتصار على العدو في اخطر تحد يواجهه هذا الوطن منذ المغول .

اما التعليم فهو اداة من الادوات التي ينبغي ان توضع في يد الشعب العامل ، في اطار من المقرطة الشاملة ، لبروز دوره وقيادته .. ذلك الدور الذي اثبت في كل الازمات التي مرت بشعوبنا انه العنصر الحاسم .

القاهرة — اديب ديمتري

(١) راجع كتابنا « وجه اميركا القبيح في التربية » ـ دار الكاتب العربي ـ سلسلة في المعركة ١٩٦٨ .

متى يطلع الفجر يا رفيق ؟

قصة الثورة الروسية

بقلم جان بول اوليفيه

ترجمة جورج طرابيشي

صدر حديثا عن دار الاداب — ٧٠٠ ق . ل .